

-
-
-
-
- Jaridati1@gmail.com



لتحميل الجريدة

بحث

In... ▼



التاريخ : 25/8/2020 - آخر تحديث : 1:26

Toggle navigation

-
- [في الواجهة](#)
- [سياسية](#)
 - [وطنية](#)
 - [دولية](#)
 - [تقارير](#)
 - [حزبية](#)
 - [نقابية](#)
- [اجتماعية](#)
 - [نبض المجتمع](#)
 - [الشباب و المرأة](#)
 - [تربوية](#)
 - [صحية](#)
 - [تقارير](#)
 - [روبرتاجات](#)
 - [تحقيقات و إستطلاعات](#)
- [رياضية](#)
 - [الرياضة الوطنية](#)
 - [الرياضة الدولية](#)
 - [ملفات رياضية](#)
- [ثقافية](#)
 - [الملحق الثقافي](#)
 - [ادب و فكر](#)
 - [إصدارات](#)
 - [نصوص](#)
- [فنية](#)
 - [نجوم و فن](#)
 - [سينما](#)
 - [إعلام و اتصال](#)
- [حقوقية](#)
 - [عدالة و حقوق](#)
 - [حقوق الإنسان](#)
- [دينية](#)
 - [الشان الديني](#)

- [دراسات](#)
- [فسحة](#)
 - [فسحة الصيف](#)
 - [فسحة رمضان](#)
 - [منوعات](#)

مذكرات الماريشال ليوطي عن المغرب 03 : أول معرض تجاري بالرباط سنة 1917



Like 0

Share

أواصل هنا، في هذه الفسحة الجديدة، الخاصة برمضان 1438 (الموافق لسنة 2017)، ترجمة مذكرات الماريشال ليوطي، الخاصة بمهامه في المغرب. بعد أن ترجمت منذ سنتين أجزاء كبيرة منها ممتدة بين سنوات 1912 و 1917. وهي مذكرات هامة جدا، كونها تعطينا كمغاربة، كونها تقدم لنا معلومات دقيقة عن كيف تشكل المغرب الحديث بعد احتلال فرنسا وإسبانيا لبلادنا، إثر توقيع معاهدة الحماية يوم 30 مارس 1912، والتي مرت عليها الآن 105 من السنوات. وأهمية هذه المذكرات، كامنة، ليس فقط في كونها وثيقة تاريخية، بل أيضا في كونها كتبت من قبل صانع قرار، لم يكن عاديا قط في تاريخ المغرب الحديث، أثناء وبعد صدمة الإستعمار، الماريشال هوبير ليوطي، أول مقيم عام لفرنسا بالمغرب.

لقد جاء إلى المغرب بعد سنوات قضاها في مدغشقر ثم بالجنوب الغربي للجزائر عند منطقة بشار، وبعدها بمدينة وهران بالجزائر، ليمارس مهام المقيم العام بالرباط ل 14 سنة كاملة. وهي أطول فترة قضاها مقيم عام فرنسي بالمغرب. ليس هذا فقط، بل أهميتها التاريخية أنها كانت مرحلة تأسيسية لشكل الإستعمار الفرنسي في إمبراطورية كان لها منطقتها الدولتي في التاريخ، في كل الشمال الغربي لإفريقيا، هي الإمبراطورية الشريفة المغربية. وأن كل أساسات الدولة الحديثة المغربية قد وضعت في تلك المرحلة، على مستوى إعداد التراب، أو التنظيم المالي، أو القضاء، أو التعليم أو الفلاحة أو المحافظة العقارية أو الجمارك. ومن خلال ما دونه في مذكراته ننتبع بدقة كيف ولدت كل تلك الترسنة التنظيمية للدولة المغربية الحديثة، بلغة صاحبها التي لا تتردد في وصف ذلك بـ «العمل الإستعماري»، المغلف بالدور الحضاري. وهي شهادة فيها الكثير من جوانب الجراءة الأدبية التي تستحق الإحترام. ثم الأساسي، أنه كرجل سياسة كتب شهادته وأرخ للأحداث عبر مذكراته الخاصة، من وجهة نظره، ولم يلد بالصمت، بل كان له حس تاريخي، يتأسس على إدراكه أنه يسجل كلمته للتاريخ.

لقد صدرت هذه المذكرات أول ما صدرت سنة 1927، أي سنة واحدة بعد مغادرته المغرب (بقي مقيما عاما بالمغرب من 1912 إلى 1926). ثم أعيد نشرها سنة 1944، في طباعة رابعة، قبل أن يعاد نشرها من قبل كلية الآداب والعلوم الإنسانية بالرباط سنة 2012، إحياء للذكرى 100 لاختيار الرباط عاصمة للمغرب.

لنستمع لصانع من صناعات التاريخ المغربي الحديث والمعاصر، كيف يروي قصة الأحداث من وجهة نظره. أو كما قال الزعيم اليساري الفرنسي فرانسوا ميتران عن مذكراته الخاصة هو: «هذه هي الحقيقة من الجهة التي كنت أنظر منها». أي أن الحقيقة دوما جهات أخرى للرؤية والنظر، يكملها عمليا المؤرخون.

الرباط: 15 شتنبر 1917

بعد معرض الدار البيضاء التجاري سنة 1915، ومعرض فاس النموذجي سنة 1916، أجمع الكل على الفائدة الواضحة لممتلكات مماثلة على النشاط الاقتصادي بالمغرب، والذي يتحقق رغم ظروف الحرب، مما يهب للأهالي ثقة في صلابة مخططنا الأمني، رغم التقليل الذي طال عناصرنا المكلفة بذلك. فكانت سنة 1917، سنة المعرض النموذجي للرباط.

وأثناء افتتاحي له، يوم 15 شتنبر، ذكرت، كما جرت العادة بذلك، بالطابع الخاص لمناسبات مماثلة، بدون مزايدة. لأنه كان علي أن أنبه زائرينا القادمين من فرنسا من انطباع سجلته عليهم ولم يرق لي بتاتا. لأنهم حين نزلوا بالدار البيضاء والرباط، تقاجأوا بتواجد عدد من الضباط والجنود، فكانت أول تعاليقهم: «لم لا يوجد هؤلاء في الجبهة في فرنسا أو في مناطق النزاع بالمغرب؟». لكنهم يجهلون، أنهم فقط في إجازة عسكرية، وأن أغلبهم مصابون، وأن بعضهم عاد ليقضي أياما وبعضهم ساعات فقط، من الراحة في أكثر مدن المغرب أمانا حينها (الرباط والدار البيضاء)، قبل العودة إلى جبهات القتال. إن نكران ذلك عليهم، حتى ونحن ندرك أنهم يعايشون يوميا هناك في فرنسا، عودة جنودنا وضباطنا في إجازات مماثلة، مما يؤثر حقتنا فعلا. وذلك ما حاولت التذكير به في كلمتي أثناء افتتاح معرض الرباط النموذجي.

ها نحن للمرة الثالثة، منذ بداية الحرب (العالمية الأولى)، نفتتح معرضا يقدم الدليل على الحيوية الاقتصادية للمغرب، وعلى ثقته في ذاته وفي وطننا» (فرنسا). لقد استعملتم الشعار الذي كنت أطلقت منذ التجربة الأولى لهذه المعارض: «عمل حربي، عرض للمعركة، معرض لها». إنها النقش المبجل للمنجز الذي حققتموه اليوم، بل إنه يلخص روحها ومعناها. وعلينا أن لا نشيح أبدا بناظرنا عنها. ففي سنة 1915 بالدار البيضاء، ثم في سنة 1916 بفاس، حرصت على أن أبرز المعنى الثاوي في ذلك الشعار. ولأنكم شبعتم من ترديدي لذلك لحد التخمة، فإنني لن أعيد تكرار ما سبق وقلته حينها أمامكم اليوم، لأنكم جميعكم، أنتم الذين ساعدتموني منذ البدايات، قد استوعبتم المعنى بشكل بليغ.

رغم ذلك، تمة نقطتان، أحرص على العودة إليهما، لأن تمة مسامير لا تتعب من الدق. إن عبارة «عمل حربي، معرض للمعركة»، تعني في المقام الأول، أننا لسنا هنا من أجل النزهة والترفيه، بل للقيام بواجب وإنجاز مهام ملموسة، فعالة، توازي انخراطا في معركة. فهذه الفكرة يجب أن تبقى هي السائدة، حتى نهاية معرض الرباط. لقد فهمتم قصدي (وأنا أقرأ ذلك بارتياح على محياكم جميعا)، منذ البداية، حين ألححت عليكم لإزالة كل علامات البهجة من هذا المعرض. دون أن يسقط ذلك، عن المواد المعروضة، سواء الفرنسية أو المغربية، جمالية العرض والتقديم. وهو مما بعث في غبطة هائلة، لإدراكي لظروف الضغط الزمني الضيق، الذي حققتم فيه ذلك. وقدمتم بذلك، الدليل كم هو ممتع العمل ضمن فريق متناغم. مما كانت نتيجته هذا العمل الجيد، الذي ينجز الأساسي بدون حاجة إلى بهجة. مما يترجم فعليا، توافقا على أن نجعل من هذا المعرض مناسبة مفيدة ومخصصة للتلاقي، بدون حاجة لأي صيغ احتفالية زائدة.

إنكم تدركون أهمية هذا الحرص من قبلي، ونحن في السنة الثالثة من الحرب (العالمية الأولى)، وأن الأحرار تنتسح، وأن المشاكل تكبر، ومهم أن لا يتوهم أي زائر لنا، أننا ننجز عملا غير مستحضر لكل تلك الظروف. بالتالي، أعول عليكم جميعا، لجعل معرض الرباط، حتى لحظة اختتامه، ذي طبيعة جدية، وأنه ليس هناك أي مجال لتحويره عن دروه المحدد له سلفا.

ما الذي نفعله هنا إذن؟

إنكم تعرفون جيدا ما نفعله هنا. إننا نقاوم المقاومة الواجبة، حتى يمتلك الاقتصاد المغربي المكانة التي يستحقها، وأن يدرك الآخرون (الذين تعرفون من أقصدهم)، أن لا مجال لهم فيها.

ما الذي نفعله هنا؟

إننا نعلي، من خلال موعد سنوي، من قيمة مكان للتلاقي بين القلوب والمشاريع، حيث يحق لكل فرنسيي المغرب النظر في أعين بعضهم باعتراز، والعمل يدا في يد. مكان للتلاقي أيضا بين المغاربة، القادمين من كل فج عميق، للإميراطورية المغربية، لإعادة اكتشاف ثروات بلدهم، وتلمس أسباب التقدم والنماء التي حققناها لهم، حتى يحملوا أصداء ذلك إلى قبائلهم البعيدة. وأيضا لدعم أكبر لكل من يتعاون معنا منها، وإقناع الباقين، وهم قلة اليوم، بل للإلتحاق بنا وترك سلاح المواجهة الذي يحملونه أمام قواتنا.

لكن، تمة أمر آخر، أريد أن أذكركم به، ولن أتعب من تكراره. فإذا كان متحققا لنا، هنا في المناطق المحررة الآمنة، القيام بمهامنا اليومية الواجبة، فإن ذلك يعود الفضل فيه إلى تضحيات قواتنا التي تحارب على مختلف الجبهات بالمغرب. وإنني أطلب من زوارنا (رغم صعوبة ذلك ماديا)، لو يزوروا ليس طنجة والرباط والدار البيضاء، بل نقطنا المتقدمة للمواجهات في شمال تازة وجنوب فاس ومكناس وعلى نهر الملوية ثم تادلة وجنوب مراكش. حينها، سيكتشفون بأعينهم حجم وعمل قواتنا العسكرية، الذين ينجز جنودها وضباطها عملا جبارا لحماية المناطق الشاطئية. وأود لو يبقوا عند شكل الحياة التي يعيشونها هناك، تحت خيامهم الصغيرة، وبحجم المسافات الطويلة التي يقطعونها على أقدامهم في مناطق صعبة تضاريسيا، وهم دوما على أهبة الإستعداد في مواجهة طلقات البنادق. مكتفين بالقليل من المؤونة، بدون أي فرص للدعة أو المتع.

حينها سيدركون أي نوع من الحياة القاسية التي يواجهونها على الجبهة هناك، دون أن يكون لهم ولو جزء بسيط مما يتمتع به إخوتهم من أبناء بلدهم هناك في فرنسا، ولا أن يتوفروا في المناطق الخلفية على ما يتوفر عليه رفاقهم هناك. حينها فقط، بعد أن يقوم زوارنا بتلك الجولة، يمكنهم المجيء إلى الدار البيضاء والرباط. حينها، مؤكدا أنهم لن يجدوا فيها «قصر الحمراء» أو «بالماريوم» (1)، بل إنهم سيدركون لوحدهم، أنه إذا كانت في فرنسا هناك إمكانية للعودة لزيارة العائلة (وهو الأمر الذي لا يتحقق للجميع هنا)، فإنهم هنا لا يجدون ما يرفه عنهم من أماكن احتفالية أو قاعات سينما أو أماكن عمومية للترفيه والدعة، التي يحتاجها كل جسد متعب. علما أن تجديد الطاقة في حالات مماثلة مهم وحاسم، وهو ما لا يتوفر هنا.

كنت منذ أسابيع، بمدينة الدار البيضاء، رفقة زائر قادم من فرنسا، حيث قال لي: «إني متفاجئ، أن أرى كل هذا العدد من الضباط الشبان هنا». كنا نسير أمام مقهى كبير بها. وحول طاولة من طاولاتها، كان يجلس فعلا جماعة من الضباط الشباب قوي البنية. عرفتهم كلهم، فقلت له: «معذرة (وأنا أشير إليهم)، أترى هذا الضابط منهم، إنه بعين واحدة والآخر اخترقت رنته مدية، بينما ذاك الثالث أصيب إصابة بليغة في عموده الفقري مما يتسبب له في آلام مبرحة. لقد كانوا جميعهم في نقطة متقدمة من جبهات مواجهتنا هنا. وواجب عليك احترامهم وتحيتهم». فقام بتوجيه التحية إليهم، وخرس.

هامش:

يقصد هنا الماريشال ليوطي مطاعم ومسارح شهيرة حينها ببباريس، مثل مسرح «قصر الحمراء» الذي تم هدمه سنة 1967، والذي يعود تاريخ افتتاحه إلى سنة 1866. ثم مطعم «بالماريوم» بزقة جوبيير، والذي يعود افتتاحه إلى أواسط القرن 19. ولا تزال هذه السلسلة الشهيرة من المطاعم متواجدة بكامل التراب الفرنسي، وهي من أرفع المطاعم بها.

[Like 0](#)[Share](#)

الكاتب : إعداد: لحسن العسبي

بتاريخ : 30/05/2017

أخبار مرتبطة

[Like 0](#)[Share](#)

[بطاقة: الدكتور صادق جلال العظيم \(مواليد دمشق، 1934\) واحد من أهم المثقفين السوريين في القرن العشرين والسنوات المنقضية من هذا](#)

[Like 0](#)[Share](#)